**مدخل إلى الآداب العالمية**

**أ.شيراني**

**السداسي الرابع م.1+2**

**المحاضرة رقم 3**

**الكوميديا الإلهية لِـ "دانتي"**

الكوميديا الإلهية أو الملهاة الإلهية، هي شعر ملحمي ألّفه دانتي ما بين 1308 حتّى وفاته عام 1321. تعدّ هذه الملحمة من أبرز وأهم الملحمات في الأدب الإيطالي، ويرى الكثيرون بأنّها من أفضل الأعمال الأدبية على المستوى العالمي.

1-المؤلّف: هو "دانتي أليغري" ولد في الأوّل من يونيو (جوان) عام 1265 بفلورنسا وتوفّي في 14 سبتمبر عام 1321. عندما كان رضيعا عمِد إسمه "دورانتي"، وخفّف الإسم إلى دانتي. ليس لدينا الكثير عن طفولته وتعليمه، ولكن من المعروف أنّه درس ما يسمّى بالشّعر التّسكاني، في الوقت الذي بدأت مدرسة سيسيليان تصبح معروفة في تسكانيا. وجعلته اهتماماته يكشف الشّعراء والمنشدين البروفانسيّين والثّقافة اللّاتينية، وكان من الواضح إعجابه بفرجيل صاحب "الإنياذة".

في شبابه تعلّق قلبه بفتاة اسمها بيتريس بورتيناري، التي كان لها أشدّ الأثر على قلبه وعلى أدبه، فعندما ماتت سنة 1290 حزن عليها كثيرًا، وحاول أن يخلّد ذكراها في عمله.

كان دانتي عضوًا نشِطًا في الحياة السّياسية والعسكرية لِفلورنسا. التحق بالجندية عندما كان شابّا وتقلّد مناصب مهمّة في حكومة فلورنسا، وأصبح مهتمّا بالصّراع السّياسي الذي كان دائرًا بين مجموعتين، مجموعة الغويلف ومجموعة الفيليون، وقد استطاعت مجموعة الغويلف السّيطرة على فلورنسا، وعاش دانتي ما تبقّى من حياته بالمنفى وتوفي في رافينا ودُفن بها.

وعلى الرّغم من معاناة دانتي في المنفى فقد استطاع أن يكتب فيه أثره الخالد "الكوميديا الإلهية" وتحت اسمه عبارة "الفلورنسي مولدًا لا خُلقًا" نتصّلا في اعتقاده من هذا البلد الفاسد النّاكر للجميل، وقد لاق عمله هذا اهتمامًا كبيرًا في كلّ لغات العالم تقريبًا.

يعدُّ دانتي أحد الأحرار العظام الذين وضعوا في مطلع عصر النّهضة الأوروبية أساس الدّولة المدنية الحديثة التي تفضّل بين سلطة الكنيسة ورجال الدّين، وبين السّلطة السّياسية. وعلى الرّغم من أنّ دانتي لم يتنكّر في حياته للدّين، أو يقصّر في تبجيل الكرسي البابوي، بل كان الإيمان هو الموجّه والمحرّك لحياة دانتي وإبداعه، ورغم ذلك قاموا بنفيه من بلاده فلورنسا، ولم يكن ذنب دانتي إلاّ أنّه قدّم مصلحة الوطن على المصلحة الحزبية دفاعًا عن الحرّية والعدالة، وفي الصّراع بين الإقطاع والفقراء انحاز دانتي إلى عامّة الشّعب، وكان يري أنّ الأخلاق هي التي تمنح الإنسان الإرادة الحرّة ولا سبيل إلى هذه الإرادة إلاّ بالعلم والفنّ.

2-الكوميديا الإلهية: تنقسم الكوميديا الإلهية إلى 3 أجزاء ( الجحيم، والفردوس، والمطهّر).

تضمّ الكوميديا الإلهية 100 أنشودة ( 34 للجحيم، و33 لكلّ من المطهّر والفردوس). ويقال أنّ دانتي اختار العدد "3" رمزًا للثّالوث، ورقم 100 لأنّه يمثّل العدد 10 مضروبًا في نفسه وقد كان رمزًا عندهم للكمال. أمّا عن سبب تسميتها بـ"الكوميديا" فلأنّها تبدأ بما يزعج وتنتهي بما يفرح (على نقيض التراجيديا التي تبدأ بما يفرح وتنتهي بما يحزن ويمون مأساة).

أمّا وصفها بالإلهية فلم يكن أصله للملحمة وإنّما أضيف إليها هذا الوصف فيما بعد، وهو لا يعني ما أورده دانتي من رؤيته للّه في السّماوات العليا في آخر أنشودة الفردوس، وإنّما هي صفة تُخلع مجازًا في اللّغة الإيطالية على كلّ ما يبعث على الإعجاب والرّوعة والإتقان.

تعدّ هذه الملحمة فريدة من نوها، فهي تخالف ملحمتي هوميدوس مخالفة تكاد تكون تامّة في نواحيها كلّها، ويمكن القول بأنّ موضوع هذا العمل الأدبي هو الإنسان بما فيه من فضائل أو رذائل، كتبها الشّاعر بلغة فلورنسا وبأسلوب يسير.

تبدأ رحلة دانتي في الجحيم حيث هناك وادي السّهاوي أو الظلمات ووادي العذاب الأليم، كما أنّها تقع في باطن الأرض البعيدة عن سماء الآلهة، فتسقط فيها الأرواح كالأوراق الجافّة التي فارقت غصونها، فيعبرها دانتي مع الشّاعر فرجيل رمز الحكمة الشّعرية ويتجوّلان معًا في الطّبقات السّبع، إلى أن يصلا إلى الدّرك الأسفل حول بيئة الشّيطان التي تقع في أبعد بقعة من الآلهة وتعرف بمنطقة الزّمهرير. ومن الذين ساهموا في رقي الإنسانية لكنّهم حرموا نعمة الإيمان، ومنهم فرجيل وابن سينا وابن رشد.

ونجد أيضًا ممّن في هذا الجحيم المتردّدين الذين لم ينضمّوا إلى أيّ حزب من الأحزاب المتصارعة، حيث يظهر النّاس عراة يلسعهم النّحل والذّباب، وتسيل من عيونهم الدّموع الممزوجة بالدّم، وتزحف تحت أقدامهم الدّيدان المقزّزة.

وبعد مرور يومين من الرّحلة يصل الشّاعر إلى المطهّر ويستغرق فيه أربعة أيّام، فتتمثّل له بجبل في الأرض يقابل منطقة الجحيم، والذين هم فيه يُكفّرون عن سيّئاتهم وأملهم في النّجاة كبير، بحيث إذا نجت أرواح من المتطهّرين وانتقلت إلى عالم الخلد والجنان اهتزّ الجبل كلّه ويصبح الجميع ممجّدين.

وهذا المكان لا يوجد فيه ليل ونهار، بل هدوء وحزنٌ وتحرّر من عبء الذكريات الأرضية التي يزرع تحته أسرى الجحيم، وفي بداية طريق المطهّر يرسم ملاك على جبين دانتي الحرف الأوّل من كلمة (إثم) سبع مرّات غير أنّ الملائكة تمسح بأجنحتها هذه الحروف.

أمّا الفردوس فتظهر في قمّته (الجنّة الأرضية) صديقة الشّاعر (بياتريس) رمز الحبّ والجمال، وهنا يودع فرجيل ليصحب محبوبته في السّماوات السّبع ذات الكواكب المتحرّكة، ثمّ يطيران إلى عرش الآلهة حولها تسع دوائر من لهيب، فيها جوقات الملائكة تسبّح للآلهة وعظمتها في ألوان ومناظر مبهرة، إلى أن يصلا إلى السّماء العاشرة حيث تتكوّن من أربع مناطق تسكنها الأرواح الخالدة المضيئة.

أهمية الكوميديا الإلهية:

تعود أهمية الكوميديا الإلهية إلى أنّها أظهرت فكر أبناء فلورنسا أكثر المدن الإيطالية آنذاك، وأكثرها نفوذا على الصّعيد الدّيني، كما تميّزت بأسلوب سلس وبسيط أبرز قدرة الشّاعر على بناء صرح أدبي من صروح العصور الوسطى، تشبه النّقاد بكاتدرائية تحيطها رهبة لا تزال تقلق الإنسان وتذكّره بنهايته.

برز الاهتمام بالكوميديا الإلهية في القرن التّاسع عشر وسط مناخ أوروبّي حرّ ورومانسي، وقد رأى الشّاعر الفرنسي فيكتور هوغو انّ دانتي يعدّ من العقول الخصبة وستبقى ذكراه خالدة في الفكر الأدبي.

لاحظ الباحثون في الأدب المقارن في القرن الماضي، أنّ هناك تشابه كبير بين هذا العمل وأعمال إسلامية، وعلى رأسها (رسالة الغفران) للمعري، وبعد البحث والتّأصيل بالمنهج المقارن توصّل باحثان، أحدهما إيطالي والآخر إسباني إلى أنّ دانتي تأثّر بمخطوطة لقصّة شعبية عربية، ترجمت إلى اللّغات الأوروبية، وأشار الباحثان إلى الشّبه الذي يصل إلى حدّ التّطابق بين القصّة والملحمة.

لقد أصبح دانتي عبر الكوميديا الإلهية بشكل خاص رمزًا للوحدة الوطنية الإيطالية. ولقد حظيت هذه الكوميديا في الأوساط الأدبية الأوروبّية باهتمامات ودراسات وتفسيرات لا تعدّ ولا تحصى. إلا أنّ المهتمّين بها تغافلوا وغيبوا مصادرها الإسلامية المتعلّقة بها. وهنا يبرز أمر يتعلّق بالأمانة الأدبية، فالأوروبّيون عادة يتعمّدون إنكار أي دور للثّقافة العربية الإسلامية في فكرهم وأدبهم، وقد أصبح اليوم واضحًا وضوحًا كاملا هذا الدّور ولعلّ الخبيرة الألمانية "سكرد هنكة" في دراستها القيّمة "شمس الله تصطع على الغرب" كانت أكبر دليل على فضح وتعرية هذه الأنانية الغربية المرضية، حين أشارت إلى ذلك الكمّ الهائل من المصادر العربية الإسلامية التي اعتمد عليها الغرب في نهضته وخروجه من عصوره الظّلامية.